مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ودورها في تأكيد القطيعة مع الاستعمار

Les manifestations du 11 décembre 1960 et leurs rôles dans l'affirmation de la rupture avec le colonialisme

د- بouden غانم¹

¹مخبر الدراسات التاريخية والاثريّة. المركز الجامعي- تيبازة ghanembouden@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/30، تاريخ القبول: 2022/01/12، تاريخ النشر: 2022/04/30

ملخص:

تتطرق هذه الورقة البحثية لإبراز دور الجماهير الشعبية الجزائرية في الثورة التحريرية من خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960 كأسلوب حديث للتعبير عن المواقف السياسية من جهة، وكوسيلة ضغط على النظام الاستعماري من جهة أخرى على المستوى المحلي والدولي، فقد حاولت سلطات الاحتلال تغليب الرأي العام الدولي بشأن ما يحدث في الجزائر للتغطية على جرائمها فما كان من قيادة الثورة إلا تعبئة الشعب الجزائري لتنفيذ الادعاءات الفرنسية والتعبير عن مطلبه الشرعي والمتمثل في الاستقلال التام، حيث مثلت تلك المظاهرات حدثا بارزا أبان عن وعي الشعب الجزائري بدوره في حماية ثورته ومساندتها، وفي إبراز دور المدينة في الثورة والذي لا يقل أهمية على بقية قواعد الثورة ضاربا عرض الحائط كل محاولات التقسيم الاستعمارية التي كانت تهدف إلى عزل الجماهير الشعبية عن طبيعتها المقاتلة.

الكلمات المفتاحية: مظاهرات؛ جماهير؛ استقلال؛ معمرين؛ ضغط دبلوماسي.

Résumé :

Cette recherche s'attache à mettre en lumière le rôle des masses populaires algériennes dans la révolution de libération à travers les manifestations du 11 décembre 1960 comme mode moderne d'expression des positions politiques d'une part, et comme moyen de pression sur le régime colonial d'autre part. D'autre part au niveau local et international. Cela se passe en Algérie pour dissimuler ses crimes. La direction de la révolution n'a fait que mobiliser le peuple algérien pour réfuter les allégations françaises et exprimer sa demande légitime d'indépendance complète. Ces manifestations ont représenté un moment important. événement qui a démontré la conscience du peuple algérien de son rôle dans la protection et le soutien de sa révolution et dans la mise en évidence du rôle de la ville dans la révolution, qui n'est pas moins important que le reste des règles de la révolution, ignorant toutes les tentatives de division coloniale visant à isoler les masses populaires de leur avant-garde combattante.

Mots-clés : Manifestations ; masses ; Independence ; colons ; pression diplomatique.

مقدمة:

اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954 وحققت تطورات كبيرة منذ منتصف سنة 1955 تمثلت في الشمولية للتراب الوطني والالتفاف الشعبي الكبير في الأرياف والمدن، ففضاء الثورة لم يقتصر على الجبال حسب ما ذهب إليه بعض الكتابات مسائرة لمنهج الاستعمار الذي عمل على تقزيم أحداث الثورة وتجزئتها، وتجاهل منطق التاريخ وحتميته محاولا دفع عجلة الزمن للوراء، وعمل على تضليل الشعب بمحاولته فصل المدينة -الهائلة ظاهريا- عن الجبال وكان الجماهير الشعبية لا دخل لها بما يقوم به المجاهدون في الجبال. وقد انخرطت الجماهير الشعبية في الثورة منذ اندلاعها وشكّلت وقودها الحيوي من خلال التجنيد والانخراط في المنظمات الجماهيرية المختلفة لتنظيم دعم الثورة وإفشال مخططات الاستعمار، وكانت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 محطة مهمة صنعت الحدث الوطني الثوري في فترة حساسة تعتبر نهاية مرحلة حاسمة لمسيرة النضال الوطني في مواجهة السياسة الفرنسية الاستعمارية ألا هي مرحلة حرب الإبادة التي ركّز فيها ديغول على الحل العسكري، وتتمحور إشكالية هذه الورقة حول ظروف وتأثير مظاهرات 11 ديسمبر 1960 على القضية الوطنية محليا ودوليا.

1- الظروف المحيطة بالمظاهرات:

جاءت المظاهرات الشعبية لسنة 1960 في ظل حرب الإبادة التي شنها ديغول على الثوار في الجزائر على مختلف الأصعدة وبكل الوسائل لأجل احتواء الثورة خاصة مع تحقيقها انتصارات كبرى على المستوى الدبلوماسي والعسكري .

أ- أوضاع الجزائر السياسية والعسكرية:

- حاجة الثورة بشقيها السياسي والعسكري إلى المزيد من الدعم والتعبئة بين الجزائريين، وربطها أكثر بالمدينة مقر تمركز المستوطنين، وضرورة تحريك المدينة لتنفيذ دعاة فصل الثورة عن المدينة وتمركزها في الجبال.

- تمادي ديغول في سياسة المد والجزر التي بلغت قممتها خلال هذه الفترة، ففي حين يتبنى أسلوب الحوار كطريقة مثلى لحل القضية الجزائرية يراهن من جهة أخرى على الحل العسكري والاقتصادي ويوظف مصطلحات مفخخة كسلم الشجعان وقضية الإليزي، فهذه التصريحات توحى بمحاولته كسب الوقت والاستهلاك الخارجي كلما اقترب موعد الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد صرح في مطلع سنة 1960 بأن استقلال الجزائر سيكون بمثابة التشرّد في البلاد، وأن الجزائريين لن يختاروا ذلك، وعلى فرنسا البقاء في الجزائر لأنها من حقها. (Yves Courrière, 1971, p 1859)

- رفع ديغول لشعار تقرير المصير في 16 سبتمبر 1959 وذلك بعد صمود الثورة المستميت وما ألحقته من خسائر بالمستعمر وهو ما حدا به إلى التفاوض العلني والمباشر مع الحكومة الموقّعة في مولان (Melun) من 26 إلى 29 جوان 1960، لكن هذه المحادثات فشلت بسبب التعنت الفرنسي وإصراره على حل القضية الجزائرية في إطار الطاولة المستديرة، والملاحظ على مشروع ديغول لتقرير المصير أنه لم يكن مستعدا لتطبيقه فكان مجرد مناورة لربح الوقت نظرا لمعارضة الجيش وأوساط سياسية أخرى. (جيلالي صاري، 1999، ص 157).

- رغبة الجزائريين الذين تحركوا على أكثر من صعيد في التأثير على مناقشات الأمم المتحدة المنعقدة في شهر ديسمبر 1960، فكان يلزمهم القيام بعمل ضخم داخل الجزائر يثير أولا الرأي العام الدولي لصالح القضية الجزائرية، وثانيا يكون وسيلة ضغط على ديغول ويجعله في موقف حرج أثناء المناقشات، خاصة وأنه روج بأن جبهة التحرير لا تحظ بتمثيل كافة الشعب الجزائري.

- الرد الفعلي العنيف على المتطرفين الأوربيين الذين خرجوا في مظاهرات يوم 9 ديسمبر 1960 بغرض تهيئة الظروف لانقلاب عسكري وذلك بإثارة حوادث واصطدامات تحمل الجيش على التدخل، وكان قد سبق لهم أن كونوا منظمة متطرفة سميت بجبهة الجزائر الفرنسية (F.A.F) رفضت تفاوض ديغول مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وأرادت أن تُبرز قوتها أمامه كونها ممثلا للمستوطنين بحسب لها حساب، (Yves Courrière, 1971, p 1959) وقد انطلقت فرق من هذه الجبهة في هذا اليوم في العاصمة ووهران بهدف إرغام السكان الجزائريين على إغلاق محلاتهم والتظاهر ضد سياسة ديغول الرامية إلى تحقيق فكرة الجزائر جزائرية والمناداة بالجزائر الفرنسية. (الجندي وآخرون، 1986، ص 358)

- معاناة الشعب الجزائري من ضغط عسكري رهيب وإجراءات قمعية قاسية (التعذيب، الملاحقات والاعتقالات، المظليون....) بعد معركة الجزائر ولمدة ثلاث سنوات، وعرفت هذه العمليات تصعيدا بعد لقاء مولان أين أمر الرئيس الفرنسي قاده العسكريين في الجزائر بزيادة وتنشيط العمليات العسكرية بهدف إضعاف جيش التحرير والقدرة التفاوضية للحكومة المؤقتة (المجاهد، ع 74، 1960/08/08) وجعلها تقدم تنازلات للطرف الفرنسي، فاستغل الشعب شهر ديسمبر ومختلف الظروف للتعبير عن إرادته في التحرير ومساندة الوفد الخارجي والعمل الدبلوماسي والعسكري.

ب- الضغط الدبلوماسي:

منذ تأسيسها في 19 سبتمبر 1958 حصلت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على اعتراف وتأييد الدول العربية والدول الصديقة في إفريقيا وآسيا وأوربا، فقد أدركت الثورة الجزائرية أهمية العامل السياسي والدبلوماسي في الصراع وفرضت وجودها في المحافل الدبلوماسية مما نتج عنه امتناع الولايات المتحدة الأمريكية -أول حليف لفرنسا- عن التصويت لصالحها في الدورة الثالثة عشرة سنة 1958. (محمد عباس، 2007، ص 536) وعلى المستوى العربي فقد أخذ دعم القضية الجزائرية أشكالا سياسية ومالية وعسكرية، وتطور هذا الدعم خاصة بعد فشل محادثات مولان حيث تحركت دول الجامعة العربية في اجتماع وزراء خارجيتها في شهر أوت 1960 ببلناب للضغط على فرنسا لإيجاد حل نهائي للقضية الجزائرية ومحاولة إقناع الجمعية العامة في دورتها المقبلة بتولي هيئة الأمم المتحدة الإشراف على تحقيق تقرير المصير بالجزائر، والعمل على تبصير دول حلف الأطلسي بالعواقب الوخيمة المترتبة عن استخدام فرنسا لقواتها في الجزائر، كما قرر مجلس وزراء الجامعة عقد دورة خاصة بالخطة العربية لدعم الجزائر مباشرة بعد الدورة القادمة للجمعية العامة للأمم المتحدة. (المجاهد، ع 76، 1960/09/05)

كما شمل النشاط الدبلوماسي للثورة التحريرية دول العالم الثالث حيث حصلت الثورة على دعم إفريقي كبير جسّده اعتراف الدول الإفريقية بالحكومة المؤقتة في مختلف اجتماعاتها سنة 1960 سواء في أكرا أو أديسا بابا أو كينشاسا، (محمد عباس، 2007، ص 587-588) وفي هذا الإطار أكد باتريس لومومبا رئيس الحكومة الكونغولية لفرحات عباس في 3 أوت 1960 تضامن الشعب الكونغولي مع كفاح الشعب الجزائري معتبرا أن المشكل الجزائري هو مشكل القارة الإفريقية. (المجاهد، ع 74، 1960/08/08) ولم يقتصر هذا الدعم والاعتراف بالحكومة المؤقتة على هذه الدول بل تعادها ليشمل الدول الأوروبية مما أظهر عدالة القضية الجزائرية أمام الرأي العام العالمي وأدى لعزل فرنسا دبلوماسيا.

وكانت العزلة الدبلوماسية لفرنسا تزداد باستمرار بفضل نشاط وفد الحكومة المؤقتة خاصة أثناء لقائه بالرئيس السوفياتي خروتشوف في 02 أكتوبر 1960 في الأمم المتحدة أين اعتبر اللقاء انتصارا كبيرا للحكومة المؤقتة أخرج الولايات المتحدة الأمريكية، كما اغتنم الوفد الجزائري فرصة وجوده في نيويورك واجتمع بالمندوب التونسي المنجي سليم والرئيس الأندونيسي سوكارنو والرئيس الهندي نهرو والوفد البلغاري وكلهم أكدوا على عدالة القضية الجزائرية وعلى حق الشعب الجزائري في الحرية مما يدل أن الوفد الجزائري تمكن من بناء علاقات وطيدة داخل هيئة الأمم المتحدة. (المجاهد، ع 79، 1960/10/10)

ج- زيارة ديغول الاختبارية:

من أجل احتواء الثورة جاء ديغول بفكرة جديدة هي "الجزائر جزائرية" لتغليب الرأي العام الدولي وإبعاد جبهة التحرير الوطني، فصرّح في 5 نوفمبر 1960 قائلا: "قررت اتباع الطريق الذي لا يؤدي إلى الجزائر التي تحكمها فرنسا، وإنما إلى الجزائر الجزائرية...إن جزائر الغد ستبنى وفق ما يقرره تقرير المصير" (شارل ديغول، 1971، ص 102) قاصدا بذلك فصل الشعب عن جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة، ومثل ما حاول بعرضه لمشروع سلم الشجعان فصل المجاهدين في الداخل عن الحكومة المؤقتة في الخارج والوصول إلى وقف إطلاق النار بالتفاوض مباشرة مع المجاهدين حاول تطبيق مخططه "الجزائر جزائرية" أثناء زيارته للجزائر في الفترة من 09 إلى 12 ديسمبر 1960، معتقدا أنه يستطيع إقناع الجزائريين والمستوطنين بضرورة التصويت الإيجابي على مشروعه، وإذا ما تم ذلك فإن الرأي العام الدولي ما عليه إلا مباركة خطوات ديغول في الجزائر وما على جبهة التحرير إلا الخضوع لسياسته، فكانت هذه الزيارة بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس وأخرجت الجماهير الجزائرية للتعبير عن التفافها مع قيادة الثورة في الخارج.

وعند بداية ديغول لزيارته التحسيسية في 9 ديسمبر 1960 في عين تموشنت فوجئ بمظاهرات شعبية عامة برزت خلالها ثلاث قوى متباينة في مراميها وأهدافها السياسية تتمثل في:

- دعاء الجزائر فرنسية: وهم غلاة المستوطنين الراضين لسياسة ديغول ومشاريعه تجاه الجزائر، خرجوا في كبريات المدن الجزائرية يوم 09 ديسمبر منددين بزيارة ديغول المندرجة ضمن مخطط التهذئة، كما جاءت مظاهراتهم كرد فعل على استدعاء الأمم المتحدة يوم الخامس عشر ديسمبر لمناقشة

القضية الجزائرية من أجل وضع حد لحرب استعمارية جائرة، إذ كانوا يأملون التأثير بواسطة مظاهراتهم على مناقشات القضية الجزائرية في الأمم المتحدة وشل هذه الدورة حتى لا يتم التوصل لاتخاذ قرارات حاسمة لصالح القضية الجزائرية، (أحسن بومالي، 2006، ص 107) وكان شعارهم "الجزائر فرنسية"، وكانت جبهة الجزائر الفرنسية تقف خلفهم حيث أصدرت بيانا يدعوهم للوقوف في وجه ديغول يوم 08 ديسمبر.

- دعاة الجزائر جزائرية: وهم أنصار ديغول من الفرنسيين المعتدلين والجزائريين المقتنعين بسياسة ديغول وبعض البرلمانيين الجزائريين والبرجوازيين. وقد تحركت هذه الفئة بإيعاز من حكومة باريس لإنجاح سياسة ديغول حاملة شعار "الجزائر جزائرية" يوم 10 ديسمبر تحت إشراف ضباط الشؤون الأهلية لإفشال مشاريع المستوطنين الراضين لسياسة ديغول، وكان هدف ديغول هو خلق قوة ثالثة لمنافسة جبهة التحرير الوطني والنيل من نفوذها لدى الجماهير الشعبية، أي بناء جزائر جزائرية بدون جبهة التحرير، (يحي بوعزيز، 1996، ص 201) كما كان يهدف إلى طرح فكرة التعايش بين الجزائريين والفرنسيين، وأراد ديغول أن يقدم دليلا للرأي العام العالمي خاصة الأمم المتحدة أن الشعب الجزائري يرفض الانفصال عن فرنسا ولا يثق بجبهة التحرير الوطني.

- دعاة الجزائر مسلمة: وهم الجزائريون المشكلون للتيار الوطني الراض للتيارين الأوليين، حيث أن الشعب الجزائري أدرك حقائق الأمور وملّ من سماع الخرافات والوعود الكاذبة، وأيقن بما لا يدع مجالا للشك أن الثورة ثورته وهو حاميا والمدافع عنها، وأراد أن يفصح للعالم أذكوبة الفرنسيين التي ما انفكوا يرددونها منذ تمرد 13 ماي 1958 المتعلقة بأسطورة الأخوة الفرنسية الإسلامية بالجزائر، فخرج بشكل سلمى يوم 11 ديسمبر في مظاهرات صاحبة عبر كافة المدن والقرى ردًا على مزاعم التيارين الفرنسيين السابقين متّحدا ومناديا بصراحة بتمسكه بفكرة الاستقلال، ومواجهها لدبابات الاستعمار بصدور عارية، (Saad Dahlab, 1990, p 134) ورافعا شعار "تحى الجزائر المستقلة"، "تحى الجزائر عربية مسلمة"، "تحى جبهة التحرير الوطني".

2- سير المظاهرات:

عرفت كل المناطق تجمعات للجزائريين هاتفين باستقلال الجزائر وبحياة الحكومة المؤقتة وجبهة التحرير الوطني، ورافعين الأعلام الوطنية ومرددن النشيد الوطني وشعارات الحرية، وظهرت أولى طلائع المظاهرات الشعبية في عين تموشنت يوم 09 ديسمبر 1960 تزامنا وزيارة ديغول للترويج لمشروعه "الجزائر جزائرية"، ومنذ يوم 10 ديسمبر توسعت المظاهرات لتشمل مدينة الجزائر، وهران، قسنطينة، شرسال، الشلف، تيبازة وبجاية وغيرها من المدن والقرى، وقد شاركت كل فئات الشعب الجزائري بمختلف أعمارها في هذه المظاهرات. (المجاهد، ع 85، 1960/12/19) فالشعب كان في حالة غليان وضغط نفسي وعسكري كبيرين وما إن جاءت فرصة المظاهرات وانطلقت التعبئة لها حتى لبّى النداء بسرعة بدون التفكير في العواقب معبرًا عن مطلبه في الحرية والاستقلال وعن دوره في معركة التحرير.

وعلى الرغم من محاولة المستعمر كبح المظاهرات بكل الوسائل إلى حد قذف المتظاهرين بالقنابل اليدوية فإن ذلك لم يوقف أمواج المتظاهرين على مواصلة السير، وتم جلب أربعين حافلة عسكرية لنقل رجال الشرطة وفرق الجندرية والحرس الجمهوري لتشتيت المتظاهرين حيث أرتكبت أعمال قتل شنيعة في حق الجزائريين العزل من العسكريين والمستوطنين على حد سواء.

3- نتائج المظاهرات وتأثيرها على تطور القضية الوطنية:

إن مظاهرات 11 ديسمبر 1960 جاءت كرد فعل على السياسة الفرنسية، ومواجهتها بالقوة زاد من حدتها، وقد أثبتت الجماهير الشعبية من خلال المظاهرات أنها في مستوى الحدث بتلبية نداء قيادة الثورة من أجل الضغط على ديغول وإفشال مخططاته الرامية إلى تقسيم الجزائريين، وقد أصدر فرحات عباس في 12 ديسمبر 1960 بيانا ببارك فيه المظاهرات وما حققته من نتائج إيجابية، وندد بالقمع الفرنسي الذي يثير الاستنكار، وبيّن "أن مثل هذه الجرائم عندما تُرتكب ببرودة ضد شعب أعزل في عصرنا الحاضر تدل على أن التوحش لم ينته، إنه من العيب تزييف الحقائق". (عثمان الطاهر عليه، 1996، ص 245) واعتبر أن هذه المظاهرات بيّنت التفاف الشعب الجزائري حول جبهة التحرير الوطني وتأييد الحكومة المؤقتة، ورغم سقوط العديد من القتلى والجرحى فقد حاولت السلطات الفرنسية أن تقلل من عدد الضحايا. (المجاهد، ع 85، 1960/12/19)

كما نادى إلى ضرورة وقف المظاهرات: "إننا نمر بمرحلة حاسمة في تاريخنا ونجتاز امتحانات عظمى، وأن المعركة التي خضتموها كان لها أبلغ الصدى وأعماقه، وقد سجلها العالم كله باعتبارها انتصارا ساطعا لكفاحنا التحرري، إن معركة المظاهرات يجب أن تنتهي الآن، إنها ليست هي المعركة الأخيرة وأن هناك معارك أخرى تنتظرنا". (عثمان الطاهر عليه، 1996، ص 247)

- إن هذه المظاهرات كانت بمثابة ضربة قاضية للسياسة الفرنسية، فمنذ اعتراف النظام السياسي الفرنسي بحق تقرير المصير سنة 1959 لم يكن مستعدا أبدا لتطبيق ذلك بل كان مجرد مناورات من أجل ربح الوقت وذر الرماد على العيون، وحتى لما تكلم الجنرال ديغول عن "الجزائر جزائرية" لم يكن راغبا في التطبيق الحقيقي لهذا الحق، فقد رفض التفاوض مع جبهة التحرير الوطني ولكن بعدما شاهده من خلال الزيارة التي قام بها إلى الجزائر أدرك المعيار الحقيقي للقضية الجزائرية، وأدرك حتمية استقلال الجزائر إن عاجلا أو آجلا نظرا لتمسك الشعب به، كما اقتنع باستحالة التعايش بين الشعب الجزائري والمستوطنين. (ديغول، 1971، ص 107)

- القضاء على مقولة الجزائر جزائرية وتكسير القوة الثالثة التي راهن عليها ديغول والكشف عن الخونة الذين كانوا يهدفون إلى تجريد الثورة من مبادئها المسطرة في بيان أول نوفمبر 1954، وقد عبّرت جريدة المجاهد عن مشروع الجزائر جزائرية: «إن الشعب الجزائري بهذه المظاهرات قد قضى على شبح كان ديغول يحاول أن يبعث فيه الحياة... والجزائريون يعرفون أن هذا المخلوق الذي يريد ديغول أن يلدّه هو مخلوق غير جزائري، إنه لقيط لا يعترف به الشعب، والشعب أراد أن يقتل هذا اللقيط قبل أن يولد وإذا

أصر ديغول على مواصلة سياسته فإنه سيهلك في المخاض». (المجاهد، ع 85، 19/12/1960) كما أدت المظاهرات لزوال مرحلة المناورات والطلول الوسطى، وعززت موقف جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة في التفاوض حيث تيقنتنا أن الشعب الجزائري قد نهض وكأنه بُعث بعثا جديدا مع المظاهرات وخاصة فيما يتعلق بالاستعداد للتضحية.

- خلقت في الشعب الفرنسي تيارا مناهضا للسياسة الاستعمارية ومطالبتها بوضع حد للحرب التي أنهكت قواها الاقتصادية، إضافة إلى إثباتها بأن المستعمر قد خسر الحرب نهائيا، وذلك لدخوله الحرب في المدن مع الشعب، وأدت كذلك إلى حدوث القطيعة النهائية بين الشعب الجزائري وفرنسا الاستعمارية. (أزغدي محمد لحسن، 1989، ص 246)

- كشفت المظاهرات عن الأثر الحاسم للوطنية لدى الجزائريين بحيث أنهم أكدوا تلاحمهم وتجاوبهم مع الثورة في الجبال، ولم يسبق للجزائريين أن أعربوا عن مشاعرهم الوطنية قبل الآن بمثل هذه الصورة، وكان لهذا التلاحم أثره الكبير في دخول جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة في التفاوض مع الحكومة الفرنسية انطلاقا من موقف قوة مما أدى لنتائج إيجابية لصالح استقلال الجزائر.

- أثبتت المظاهرات للاستعمار الفرنسي أن يد الثورة تتعدى الجبال إلى المدن، وقادرة على تحريك الجماهير متى تشاء وكيف تشاء، وتدمر مؤسساته المدنية والعسكرية، وهي فوق ذلك رسالة بالغة البيان موجهة إلى القيادة الفرنسية والرأي العام الدولي بأن الشعب مصمم على استرجاع سيادته مهما كان الثمن.

-أكدت هذه المظاهرات للعالم ولديغول أنه لا بديل سوى الاستقلال ولا ممثل له إلا جبهة التحرير الوطني، فافتتح الجنرال ديغول بفشل سياسته وخطه العسكرية وضرورة الدخول في مفاوضات جدية، وهذا ما جعل بن يوسف بن خدة يقول عن دور المظاهرات: "كانت المفاوضات صعبة للغاية، والنتيجة تتوقف على وحدتنا، ودعم الجماهير لنا، هذا الدعم الذي تجلّى في الانتفاضة الشعبية العارمة التي جرت في 11 ديسمبر 1960 والتي كانت منعرجا في مسيرة الثورة وحدثا حاسما في تاريخ معركتنا المسلحة وفي سير المفاوضات، لقد أظهرت هذه الانتفاضات روح الكفاح والقدرات النضالية التي ظلت مرتفعة لدى الجماهير رغم الإرهاب البوليسي والعسكري، فأقنعت ديغول بأن كل محاولة ترمي إلى فرض حل عسكري ستبقى بدون جدوى، كما كانت هذه الانتفاضات عاملا حاسما في تعجيل سير المفاوضات"، (بن يوسف بن خدة، 1987، ص 19-20) وبالفعل شرع الجنرال ديغول في التمهيد للدخول في مفاوضات مباشرة وعلنية مع جبهة التحرير الوطني، فقد صرح في مذكراته: "إن ما رأيته خلال خمسة أيام وما سمعته بأذني وما تغلغل في أعماق فكري ترك لدي انطبعا واضحا عن حقيقة وضع الجزائر... لقد أضحي ثابتا لدي أن استمرار هذا الوضع لا يمكن أن يجلب لبلادنا سوى الخيبة والمآسي، وأنه حان الوقت للخلاص منه". (ديغول، 1971، ص 107-108).

- كانت المظاهرات استفتاءً شعبيا مسبقا طالب بالاستقلال التام وأفضل مخططات ديغول ودعاة الجزائر فرنسية، ولذلك فالحكومة الفرنسية أيقنت أنها ليست قادرة على الاستمرار في حرب لا تتوقف إلا لتنتلق من جديد، ولم يستطع جيشها إحراز نصر على جيش التحرير رغم التفوق العددي والتقني، (محمد حربي،

1983، ص 231) وكانت عبارة عن نهاية لأسطورة التهدة في المدن الكبرى وللنصر العسكري بعد عمليات الإبادة الفرنسية ضد الثوار وسكان المدن، كما كانت نهاية لأسطورة الجزائر الفرنسية، وتعبيرا واضحا عن استحالة التعايش مع المستوطنين أي القضاء على فكرة التآخي الفرنسي العربي.

- تحقيق القضية الجزائرية انتصارا في الأمم المتحدة حيث ربحت رهان تسجيل قضيتها، وصوّتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة الخامسة عشرة المنعقدة في 19 ديسمبر 1960 بأغلبية (63) صوتا ضد (27) صوتا وامتناع (08) أعضاء على لائحة للكتلة الأفرو-آسيوية تعترف بحق الشعب في تقرير مصيره بحرية وحقه في الاستقلال على أساس احترام وحدة التراب الجزائري وسلامته وبإشراف أممي، (المجاهد، ع 85، 19/12/1960) وبالتالي فإن القضية الجزائرية خطت خطوة كبيرة إلى الأمام في المجال الدولي ولم تعد مشكلة الجزائر قضية فرنسية داخلية كما تدعي فرنسا، وتمكنت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من تعزيز شرعيتها التي لم يعترف بها الجنرال ديغول من أجل التفاوض معها.

خاتمة:

في الختام يمكن القول أن الشعب الجزائري أثبت حضوره التاريخي من خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960، وسجّل استغلاله لكل الظروف من أجل دعم ثورته والتعبير عن مطالبه الشرعية المتمثلة في الاستقلال التام، وأبان عن وعيه السياسي الكبير بكل ما يجري حوله، سواء موقف الحكومة الفرنسية أو موقف المستوطنين، فجعل من هذه الانتفاضة محطة مهمة من محطات تاريخ الثورة التحريرية الكبرى أبرز خلالها دور المدن في العمل التحرري خاصة وأنها جاءت في فترة حرب الإبادة التي أراد من خلالها ديغول تقسيم الشعب والتراب الوطنيين، فعملت على إفشال مخططاته ومراوغاته لأجل الاحتفاظ بالجزائر، ودفعته إلى القناعة بضرورة تغيير طريقة التعامل مع القضية الجزائرية وقادة الثورة والاعتراف بهم كممثلين شرعيين للثورة لأجل تجنب فرنسا المزيد من الخسائر والأزمات السياسية التي تُفقد مكانتها الدولية واستقرارها الداخلي، لذلك باشر سنة 1961 اتصالات جديّة بقيادة الثورة الجزائرية لأجل إيجاد مخرج مشرف ينهي الحرب فأعتبرت بذلك مظهرا بارزا من مظاهر تأكيد القطيعة مع الاستعمار، تلك القطيعة المستمرة منذ سنة 1830.

قائمة المراجع:

- أزغندي محمد لحسن، 1989، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطنية الجزائرية 1954-1962، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- بن يوسف بن خدة، 1987، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب: لحسن زغدار، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- بومالي أحسن، 2007، «أدوات الدبلوماسية أثناء ثورة التحرير الجزائرية»، المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع 16، (63-133).

- بوعزيز يحي، 1996، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، ج 2، ط 2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
- حربي محمد، 1983، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، ترجمة كميل قبصر داغر، ط 1، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
- ديغول شارل، 1971، مذكرات الأمل، التجديد 1958-1962، ترجمة سموحي فوق العادة، ط 1، بيروت، منشورات عويدات.
- صاري جيلالي، 1999، «مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ودورها في التحرير الوطني»، المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع 2، (180-215).
- عباس محمد، 2007، نصر بلا ثمن، الثورة الجزائرية 1954-1962. الجزائر، دار القصبية للنشر.
- عليه عثمان الطاهر، 1996، الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، الرويبة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
- المجاهد، ع 74، (1960/08/08).
- المجاهد، ع 76، (1960/09/05).
- المجاهد، ع 79، (1960/10/10).
- المجاهد، ع 85، (1960/12/19).
- Yves Courrière, 1971, la guerre d'Algérie, les feus de désespoir, t 4 , Fayard.
- Dahlab Saad, 1990, Mission accomplie pour l'indépendance de l'Algérie, Alger, édition Dahlab.